الكاتب: أ/ مشوشة سمير
جامعة عباس لغرور/ خنشلة/ الجزائر
البريد الالكتروني: s.mechou@yahoo.com

عنوان المقال: **ثنائية الجزائر-اوربا: بين التقارب المصلحي والتباعد العدائي في الحوض المتوسطي خلال القرن 11هـ/17م.**

تاريخ الارسال: 2019/04/18 تاريخ القبول: 2019/07/12 تاريخ النشر:2019/09/30

ثنائية الجزائر-اوربا: بين التقارب المصلحي والتباعد العدائي في الحوض المتوسطي خلال القرن 11هـ/17م.

الملخص بالعربية:

عرف الصراع البحري منذ استقرار الأتراك بالجزائر سنة 1519م أبعادا عالمية، فانتقل التنافس من المشرق بين الدولة العثمانية والقوى الأوروبية المسيحية إلى شمال إفريقيا ممثلة في إيالة الجزائر ودول جنوب أوروبا المتوسطية، الشيء الذي أدى إلى انبعاث علاقات متباينة. ولقد شكلت العلاقات الخارجية للجزائر في العهد العثماني، أهم مظاهر السيادة وأبرز سِمات النفوذ المتوسطي، فبَنت سياستها الخارجية على مجموعة مبادئ سياسية كوَّنتْ بها شخصيتها الدولية، ولكن هذا التكريس كله كان تحت غطاء الدولة العثمانية حتى سنة 1671م.

:Abstract

The maritime conflict since the stability of the Turks in Algeria in 1519 has global dimensions. The competition from the Orient between the Ottoman Empire and the European Christian powers moved to North Africa, represented by Ile of Algeria and the countries of southern Mediterranean Europe, which led to the emergence of different relations. The external relations of Algeria in the Ottoman era were the most important manifestations of sovereignty and the most prominent features of the Mediterranean influence. Its foreign policy was based on a set of political

principles which constituted its international character. However, this whole consecration was under the cover of the Ottoman Empire until 1671.

مقدمة:

شكلت العلاقات الخارجية للجزائر في العهد العثماني، أهم مظاهر السيادة وأبرز سِمات النفوذ المتوسطي، فبَنت سياستها الخارجية على مجموعة مبادئ سياسية كوَّنتْ بها شخصيتها الدولية، ولكن هذا التكريس كله كان تحت غطاء الدولة العثمانية حتى سنة 1077هـ/1671م[1].

وكانت هذه الروابط طيلة العهد العثماني تحمل في طياتها مؤشرات للتقارب المصلحي المشترك والتباعد والتنافر العدائي، فامتداد النفوذ الجزائري متوسطيا مع بداية القرن 11هـ/17م أصبح مُشكلة حقيقة لأغلب الأساطيل الأوروبية، كيف لا وهي التي وُصِفَت عاصمتها مدينة الجزائر بـ"السَّوْطُ المُسلّط على العالم المسيحي، إنها رعب أوروبا ولِجَامُ إيطاليا وإسبانيا وصاحبة الأمر في الجزر"[2].

1-الجزائروإسبانيا: علاقات صراع بخلفيات تاريخية دينية:

حاول الإسبان منذ مطلع القرن 10هـ/16م خلق إمبراطورية مسيحية تَرأَسُها بمساعدة الكنيسة البابوية، وتُوِّج خلالها "شارلكان" الإسباني إمبراطورا على العالم الكاثوليكي سنة 925هـ/1519م، كما حاول العثمانيون قبل ذلك جمع شتات المسلمين خاصة بعد دخولهم لمصر سنة 923هـ/1517م[3].

ولا شك أن إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية أدى إلى اتساع مجالاتها في البحر المتوسط، فهي تتوزع على شمال إفريقيا وجنوب أوروبا بشكل يجعلها تحاصر البحر المتوسط من كل الجهات، ومَردُّ ذلك لعدة أسباب أبرزها موقعها الجغرا-سياسي الإستراتيجي ومكانتها الاقتصادية مع دول الحوض المتوسطي[4]، وأصبحت بعدها حِصْنا منيعا ضد الغارات الأوروبية، ومدينة الجزائر و"قد أحاط بها البحر إحاطة السوار بالزند" على حد التشبيه لقوة تحصين المدينة من ناحية البحر المتوسط[5]، وأكد لنا ذلك "المكناسي" في رحلته بقوله: "...وهذه المدينة في غاية التحصين والمنعة من ناحية البر والبحر، فلها سوران والحفير من دون الحفير سور آخر، وبأسوارها الأبراج والمدافع لناحية البحر، لأن النصارى كثيرا ما يقصدونها بالمراكب الحربية والعساكر الكثيرة..."[6].

وقد أعقب تحطيم البنيون الإسباني بمدينة الجزائر سنة 935هـ/1529م غارات بحرية واسعة قام بها البحارة الجزائريون، ولعل أشهرها التي قادها "ايدن رايس" (الملقب في الكتابات الغربية بالشيطان الضارب) و"صالح رايس" ضد السواحل الإسبانية[7]، فمن أسباب تنامي الصراع بين الدولتين هو الصراع الديني التاريخي، حيث نجد أن العديد من الكتابات تعكس حقيقة هذا الصراع في بداية الوجود العثماني بالجزائر، فمن خلال بعض المصنفات يتضح لنا هذا الجانب أكثر، فورد في مقدمة "التبر المسبوك" لمؤلفه "مصطفى بن حسن خوجة": "...الحمدو لله الذي أنعم علينا بالجهاد، ووعدنا بإحدى الحسنيين يوم التناد، وأحسن إلينا بالنصرة على عبدة الأصنام والقوم العناد...وأخبر النبي عليه السلام أفضل أعمال أمتي

الجهاد، والصلاة والسلام على محمد الذي أمر بالجهاد..."[8]، ويُضيف مستطردا عن الجانب الإسباني: "...إسبانيول كافري خذلهم الله ودمرهم وشتت شملهم...رئيس الغزاة والمجاهدين محمد باشا...والصلاة والسلام على من كسر شوكة الكافرين..."[9].

وعرف القرن 11ه/17م تغيُّرا للخريطة الجيو-سياسية في أوروبا، بتراجع دور إسبانيا على الساحة المتوسطية لصالح إنجلترا، والتي برز تفوقها في حوض المتوسط بعد سيطرتها على جبل طارق وميوركا، مما فرض عليها إعادة النظر في بعض علاقاتها الخارجية[10]، وهذا كله في ظل دخول دول جديدة للمتوسط منها هولندا، السويد والدانمارك...وغيرها، ويرى "ماتيوس أندرسون" أن تراجع الدور الإسباني في العالم المتوسطي يعود سببه إلى تحويل أنظارها شطر مستعمراتها في القارة الأمريكية، لأن مصالحها وحجم مبادلاتها أكبر أهمية وأكثر نشاطا وبكثير من أي جزء آخر في العالم خارج أوروبا[11]. كما شكل القرن 11ه/17م بالنسبة لإيالة الجزائر قرنا ذهبيا لنشاطها البحري، من خلالها شهدت اتساعا غير مسبوق للغارات البحرية في الحوض المتوسطي، ونتج عن ذلك تزايد عدد السفن المشتغلة على سواحل بلاد المغارب وجنوب أوروبا، "وتطورها من الغاليه (Galley) إلى سايلينغ فيزلس(Sailing Vessels) القادرة على الإبحار في المحيط الأطلسي، ففي سنة 1617 كانت تملك الجزائر 50 سفينة، ثم 80 سفينة سنة 1625"، وقد يرتفع عددها في أحيان أخرى إلى 120 سفينة [12].

وبعد توالي حملات وتحرشات إسبانيا وتعاظمها خلال القرن 10ه/16م- لظروف عديدة تم التطرق إليها سابقا- حَمَل القرن 11ه/17م فتورًا وتراجعا كبيرا لهذه الحملات[13]، وما شهده هذا القرن هو حملتين فقط –كما تذكر أغلب الدراسات التاريخية-، فبعد وصول "فيليب الثالث"[14] إلى حكم إسبانيا سنة 1004ه/1598م حمل مشعل مواصلة سياسة سابقيه من الملوك، وبناءا على تقارير جواسيس كانوا بالجزائر وأبرزهم الفرنسي "روكس" (Roux) سنة 1007ه/1601م والتي تضمنت نقص التعزيزات العسكرية بميناء مدينة الجزائر خلال فصل الصيف، تقرر توجيه حملة عسكرية يوم 28 أوت 1601م بقيادة "مانويل دي بيغا"، اشتركت فيها عمارة من سبعين سفينة وحوالي عشرة آلاف جندي من إسبانيا وجنوة وصقلية ونابولي تساندها القوات البابوية، لكن سوء الأحوال الجوية بالبحر ساهم في فشل الحملة[15]، أما الحملة الثانية فكانت مشتركة مع إنجلترا وهولندا واستهدفت سواحل جيجل سنة 1016ه/1610م، لكنها هي الأخرى فشلت وألحقت دمارا وخرابا في سواحلها[16].

كما ظلت قضية الاحتلال الإسباني لوهران والمرسى الكبير تشغل بال أغلب حكام الجزائر، ولم يدّخِروا جهدا لتحريرهما، ففي سنة 1012ه/1606م حاول الجزائريون تحريرها لكنهم فشلوا، فتعاقبت محاولاتهم لذلك، وكانت أبرزها ما قام به باي الغرب "شعبان الزناقي" سنة 1093ه/1687م في موقعة عرفت بموقعة "كدية الخيار"[17]. وحتى سنة 1006ه/1600م كانت إسبانيا وما تزال ذلك العملاق السياسي والعسكري في العالم المتوسطي[18]، لكن هذا لم يُجنبها وقوع أزمات داخلية حادة، وقد شكّل النشاط البحري الجزائري في البحر المتوسط خلال القرن

11هـ/17م أبرز قضايا استمرار الخلاف بين إيالة الجزائر ومملكة إسبانيا[19]، فنتج عن ذلك ارتفاع عدد الأسرى المسيحيين الإسبان في سجون مدينة الجزائر.

ولقد شكل الأسرى المسيحيون البضاعة الرائجة الأكثر قيمة، وهي التي مثّلت نسبة كبيرة من عائدات الإيالة من القرصنة[20] خاصة خلال القرن 11هـ/17م، وقد اعتبرتهم الجزائر بمثابة أسرى حرب ولتحريرهم وجب دفع الفدية عنهم وفق قوانين تحددها الدولة[21]، ومَثَّل الأسرى الإسبان النسبة الكبيرة من هؤلاء. فعانت إسبانيا كثيرا من جراء ذلك، فقد كانت تدفع سنويا ما قيمته 60 ألف قرش لافتدائهم والبالغ معدلهم سنويا 200 إلى 300 أسير[22]، ويشير "الزهار" إلى ذلك بقوله: "...وكان محمد باشا من حيث ولايته، لا يفتر عن بعث المراكب لغزو الاسبانيول، فترجع بالغنائم ويرمي السرية في أرضه فتسبى النساء والذراري والصبيان. فلما أكثر عليهم المسلمون بأخذ مراكبهم وبالسرايا في أرضهم، أمرهم كبيرهم راي (ملك) ألكارنو بأن يرحلوا عن ساحل البحر إلى دواخل البلاد فرحل أهل الشطوط (أي السواحل) من البوادي، لكن المسلمين صاروا يذهبون إليهم، ويقبضون لهم أكثر من السالف، حتى اجتمع من أسارى الصبانيول (الإسبان) في الجزائر ما يزيد على العشرة آلاف خلاف الأسرى من بقية الأجناس..."[23].

كما كانت قضية افتداء الأسرى الإسبان في الجزائر من أعقد القضايا بين الطرفين، فلم "يكن الإعداد لرحلة الفداء في البر الجزائري أمرا هيّناً في ظل حالة التوتر الغالبة على العلاقات

الجزائرية الإسبانية، وكانت الخطوات الأولى للفداء تتم بعد إذن الملك الإسباني للمجموعة الدينية المتخصصة بالإعداد للرحلة"[24].

ومما سبق نستخلص أن أغلب مظاهر العلاقات بين الجزائر وإسبانيا كانت بطابع التنافر والتباعد الدائم، لكن من الآثار الإيجابية للصراع بين الدولتين هو انتشار العملة الإسبانية بأغلب الأسواق الجزائرية وخاصة في غرب الإيالة، وأصبحت أساس المعاملات التجارية منذ بداية القرن 11ه/17م، ولعل السبب الرئيس في ذلك يعود إلى استمرار الإحتلال الإسباني للمرسى الكبير (915-1198ه)/(1509-1792م)[25]، ومن أهم هذه العملات نجد الضبلون (Doublon)، الدوكة (Doucat)، الكرونة (Corona)، الدورو الإسباني (Douro)، ريال الإسباني (Rial)، القرش المكسيكي (قرش بومدفع)، الدولار (Dolar) والآسبر (Aspre) ... وغيرها[26]. كما عرفت نهاية القرن 12ه/18م حركية تجارية معتبرة بين الجزائر وإسبانيا أبعدت نوعا ما الصراع التاريخي بين البلدين.

2- الجزائروفرنسا: الدبلوماسية المتضاربة والقرصنة المتبادلة:

اكتسبت الجزائر أهمية كبيرة ومكانة سياسية جد مؤثرة في الحوض الغربي للمتوسط خاصة بعد إلحاقها بالدولة العثمانية، فجُعِلت كمنطلق للسيطرة على المتوسط من جهة والقضاء على القوى البحرية المسيحية من جهة أخرى[27]. فبعد حصول فرنسا على تمثيل دبلوماسي لها في الجزائر نهاية القرن10ه/16م بضغط من الباب العالي، أعلنت عن نواياها التجارية في الساحل الشرقي للجزائر من خلال إنشاء الباستيون الفرنسي كمركز تجاري اهتم في بداية

نشاطه بصيد المرجان، وهو ما يوحي بعلاقات حسنة بين البلدين في ظاهرها، لكن في باطنها شيء من التباعد والتنافر في عديد المرات.

وأجمع مؤرخو الجزائر خلال الفترة العثمانية أن القرن 11هـ/17م مثل العصر الذهبي للبحرية الجزائرية، وذلك بدليل سيطرته شبه الكلية على الحوض الغربي للمتوسط، حيث "...كانت لها اليد الطولى في البحر الرومي وكانت بعوثها وغوازيها كثيرا ما تسم الشغور الافرنجية بالخشف والدمار..."[28]، فلم يقتصر نشاطها في هذا المجال البحري فقط، بل امتد إلى المحيط الأطلسي حتى جزر الأسور والبحار الشمالية لأوروبا وسواحل بريطانيا والدانمارك وايسلندا... وغيرها[29]، بالمقابل لذلك لم تعرف البحرية الفرنسية مطلع القرن 11هـ/17م تطورا ملحوظا رغم الجهود التي بذلها "ريشيليو" بتخصيص مبالغ مالية ضخمة لورشات بناء السفن الحربية، حيث وصلت قيمة الإعانات المالية حوالي أربعة ملايين وثلاثمائة ألف فرنك ومليونين للإصلاحات العاجلة للموانئ سنويا[30].

وتشير إحدى الروايات الفرنسية أن القراصنة الجزائريون تزايدت اعتداءاتهم ضد السفن الفرنسية منذ بداية القرن 11هـ/17م، وقد قَدَّرَت عدد الأسرى الفرنسيين في الجزائر سنة 1008هـ/1602م بحوالي 3000 أسير، وتكبد الاقتصاد الفرنسي في نفس الفترة خسائر فادحة بلغت قيمتها المالية حوالي 1.5 مليون أوقية[31]. فعقب استهداف الجزائريين للباستيون الفرنسي وتدميره سنة 1008هـ/1602م، أصدر الملك الفرنسي "هنري الرابع" قرارا بإعلان الحرب على قراصنة الجزائر، وتذكر بعض المصادر أن السفن الفرنسية شنت حملة بحرية في سنة

1010هـ/1604م على ميناء برشك بين شرشال وتنس[32]، كما قامت ست سفن بحرية فرنسية بغارة على مدينة عنابة سنة 1013هـ/1607م ودمرت خلالها بعض السفن الراسية في مينائها، واقتادت معها إلى ليفورن حوالي 500 أسير جزائري[33].

بعد نجاح فرنسا في الحصول على تسهيلات اقتصادية ودينية في أغلب الأقاليم العثمانية إثر معاهدة سنة 1010هـ/1604م، فوردت في عديد البنود منها ما جاء في البند 25 والذي نص على حصولها على ضمانات تتعلق بحقها في صيد المرجان والسمك على السواحل الحدودية بين إيالتي الجزائر وتونس، كما ورد أيضا في البندين 13 و14 حق معاقبة ومطاردة القراصنة المغاربة في حالة تعديهم على الشواطئ الفرنسية، وتعهدت الدولة العثمانية بحماية البحارة الفرنسيين من اعتداءات البحارة الجزائريين[34].

وعرفت العلاقات الجزائرية–الفرنسية تصدعا وشرخا كبيرين بعد تدمير "الخضر باشا" لحصن الباستيون الفرنسي في جوان 1604م، بعدما أمر الحامية التركية في عنابة بتخريب الحصن وأسر موظفيه، وتُرجِع أغلب الدراسات التاريخية سبب ذلك " إلى عدم احترام الشركة الفرنسية للإتفاقيات التي تنص على أن يقتصر نشاطها على صيد المرجان، لكن الشركة لم تُعِر أدنى اهتمام لها، فتجاوز نشاطها صيد المرجان إلى شراء الحبوب بأسعار زهيدة لتصدره إلى مرسيليا جانية بذلك أموالا طائلة، متجاهلة أوضاع البلاد العصيبة" التي كانت تهددها المجاعات في أغلب مناطق البلاد[35]. وبدأت بعدها مرحلة جديدة بين البلدين عنوانها البعثات الدبلوماسية لتسوية الخلافات، وأوكلت فرنسا هذه المهمة إلى قنصلها العام بالدولة العثمانية

"سفاري دوبريف" (Savary de Bréves)، لكنه فشل في مهمته الدبلوماسية[36]، ولعل السبب في ذلك يعود " إلى كون المبعوث الفرنسي لم يكن في وُسْعه أن يتعهد بأية ضمانات فيما يتعلق بإطلاق سراح الأسرى الجزائريين خاصة وأن البحرية المرسيلية كانت في أمس الحاجة إلى خدماتهم"[37].

ولم تكن حادثة تدمير حصن الباستيون الحادث الوحيد الذي أدى إلى تأزم علاقات البلدين، بل ذكرت عديد الدراسات التاريخية "حادثة سيمون دانسا"، البحار الفلامنكي[38] الذي سرق مدفعي البرونز من إيالة الجزائر بعد ثقة الباشا فيه، وهما الحادثان اللذان كانا كافيين لتصدع العلاقات بين الدولتين وأصبحت الحرب أحد الحلول المقترحة مستقبلا.

رغم توقيع معاهدة السلم والصداقة بين الإيالة والمملكة سنة 1025هـ/1619م، إلا أن العلاقات عادت لتتدهور من جديد والسبب يعود إلى مجزرة الوفد الجزائري بمرسيليا في 14 مارس 1620م[39]، حين قام مجموعة من سكان مرسيليا بالهجوم على مقر إقامة بعثة رسمية جزائرية لأحمد باشا وبعض التجار وتم قتلهم جميعا ورميهم في البحر ونُهبت جميع ممتلكاتهم، لكن الطرف الفرنسي برر هذه الحادثة إلى قيام أحد رياس البحر الجزائريين وهو "رجب باشا" بالإستيلاء على سفينة فرنسية وأسر جميع طاقمها من التجار المرسيليين وأخذ جميع ممتلكاتهم، إلا بحارين إثنين استطاعا الفرار والوصول إلى مرسيليا، والذين أبلغا عن هذه الحادثة[40]، وبذلك انهار السلام المؤقت مجددا بين الدولتين.

وبعد المجزرة المرسيلية ساءت العلاقات مجددا بين الجزائر وفرنسا، الشيء الذي أدى إلى تصعيد وتيرة نشاط البحرية الجزائرية ضد السفن التجارية الفرنسية في الحوض المتوسطي، ففي الفترة الممتدة بين سنتي (1019-1028هـ)/(1613-1622م) بلغ عدد الأسرى الفرنسيين في الجزائر حوالي 235 أسير[41]، وفي ستة أشهر بعد تلك المجزرة تم أسر 21 سفينة فرنسية بيعت بما تحمل في أسواق الجزائر،" وقد كان خمس منها يحمل بضاعة تقدر بين العشرين والخمسة والعشرين ألف فرنك، ولا يوجد منها سوى ثمانية تقدر قيمة حمولتها بأقل من سبعة آلاف، وقد قدر القنصل الفرنسي الخسائر بمائتين وأحد عشر ألف وتسعمائة فرنك (211900فرنك)"، وأسْر حوالي 128 فرنسيا[42]، وهذا ما يعني أن التجارة والبحارة الفرنسيون أصبحوا بمثابة هدف مميز لبحارة الجزائر. وضْع جعل من القنصل الفرنسي في الجزائر السيد "كاي" يرسل تقريرا للحكومة الفرنسية يُقر فيه بتعفن وضع العلاقات بين الدولتين وألح فيه على ضرورة الإسراع في احتواءه خاصة بعد تقديراته للخسائر الفرنسية جراء ذلك بأكثر من 1.2 مليون فرنك[43].

ورد في عديد المراسلات الرسمية بين مسؤولين فرنسيين وجزائريين معاناة السفن التجارية الفرنسية من تصرفات بحارة الجزائر، ومن ذلك ما جاء في مراسلة مؤرخة في 25 جويلية 1620م من قناصلة وحكام مرسيليا تضمنت إستيلاء سفينة جزائرية على سفينة النقيب "دريفيت" وهو عائد من الإسكندرية وكانت محملة بسلع قيمتها 100 ألف درع (Ecus) وأسر من فيها من بحارة فرنسيين[44].

وقد استطاع "سانسون نابولون" أن يُوفَّق في جمع مبلغ قدره 30 ألف جنيه بعد حصوله على موافقة قناصلة وحكام مرسيليا، وهي القيمة المالية لمدفعي "سيمون دانسا" على أن يدفع هذا المبلغ لحاكم الجزائر، كما جمع مبلغا مماثلا (30 ألف جنيه) كقيمة مالية لفدية الأسرى الأتراك المتواجدين على متن السفن الملكية الفرنسية، وجمع أيضا مبلغا ماليا قدره 45 ألف جنيه -بعد إعلانه التقليدي كبرَّاح في شوارع مرسيليا- وخُصصت لفدية أسرى فرنسيين بالجزائر[45].

فسعت الدولة الفرنسية جاهدة إلى محاولة إعادة السلم والصداقة مع حكومة إيالة الجزائر خاصة بعد الأحداث الأخيرة التي ميّزتها، ففي ظل دخول إنجلترا خط المنافسة التجارية وتصادم مصالحهما في الحوض المتوسط وتوقيعها معاهدة تجارية مع الجزائر، رأت فرنسا أنه من الضروري إعادة علاقاتها مع الإيالة، فأبدت بعض الليونة في توقيع معاهدة أخرى بتاريخ 19 سبتمبر 1628م، وحملت طابع السلم والتجارة وجاءت في 12 بندا[46]، فورد في البند الثاني من هذه المعاهدة: "عندما تلتقي المراكب الجزائرية بالمراكب الفرنسية سوف تتبادل المعلومات كأصدقاء حقيقيين، ولكي يسمح لرجال السفن الجزائرية بزيارة (تفتيش) المراكب الفرنسية، فإنه يُمْنع عليهم أخذ أي شيئ كاستبدال أشرعة قديمة بأشرعة جديدة أو حبال أو مدافع أو ذخائر حربية أو أي شيء آخر، كما يُحْضر عليهم تهديد أصحاب المراكب أو الكتَّاب أو أي فرد من أفراد الطاقم أو غيرهم لإجبارهم على التفوه بغير الحقيقة"[47]، وهذا أحد الأُطُرْ الذي سعت إليه فرنسا للحد من تجاوزات البحارة الجزائريين على السفن الفرنسية، وأيضا ضمان حرية حركة السفن التجارية في الحوض المتوسطي.

ورغم التشديد والحرص على ضرورة إحترام بنود معاهدة 1034هـ/1628م إلا أنها لم تُعمِّر طويلا، ففي ربيع 1035هـ/1629م اعترضت سفينة بروفانسية سفينة جزائرية واستولت على حمولتها وأسرت من فيها[48]، كما طاردت ثلاث سفن فرنسية سفنا جزائرية بالقرب من مايوركا الإسبانية بعد إقتراب السفن الجزائرية لإلقاء التحية عليها واستمرت هذه المطاردة لمسافة 30 ميل تقريبا[49] وهذا دليل على الإخلال التام ببنود معاهدة 1034هـ/1628م، وكان من البديهي أن يكون رد فعل البحارة الجزائريين مماثلا، فما بين سنتي 1034-1040هـ/1628-1634م استولوا على 80 سفينة فرنسية مختلفة الأحجام[50] بلغت قيمتها أربعة ملايين وسبعمائة واثنين وخمسين ألف ليفر وأسروا 1331 شخصا[51]. كما عانى كثيرا سكان السواحل الفرنسية المتوسطية من غارات رياس البحر الجزائريين، ففي إحدى التقارير التي أشار إليها "بلانتيت" نقلا عن "هنري دوسيغيران" حيث "...إنه لا يمر يوم واحد من دون أن يأتي إلى هنا البروفانس البربريون ويحملون معهم الرجال والنساء والمركبات البحرية والسلع ليأخذوها معهم، كانت كل المساكن بمدينة كاسيس وجيوتات وآنتيت وسان طروباز تتحول إلى قلاع حقيقية، وكان السكان يُسلحون أنفسهم بالحجارة والبنادق من أجل الدفاع عن أنفسهم ضد القراصنة..."[52].

وأمام هذا الوضع، جُهِّزت حملة فرنسية بأمر من "ريشيليو" ضد الجزائر سنة 1043هـ/1637م، لكنها فشلت قبل وصولها إلى السواحل الجزائرية بسبب عاصفة بحرية

هوجاء، وخلالها أسر الرايس "علي بتشين" حوالي 317 فرنسي بعد هجومه على الباستيون الفرنسي[53].

وصفوة القول من كل هذا، أن فترة القرن 11ه/17م عرفت تجاذبا سياسيا وتجاريا وعسكريا بين الجزائر وفرنسا من خلال عديد المعاهدات التي وُقّعت بين الطرفين، واعتبرت بمثابة أشد الفترات التاريخية غموضا بين الإيالة والمملكة، فهي فترة غلب عليها التناقض والتقارب والتباعد والتصالح وتصادم المصالح، فالطرف الفرنسي تميز بالليونة والدبلوماسية السياسية وتجلى ذلك في البعثات الدبلوماسية العديدة[54]، أما الطرف الجزائري فكان موقفه في كل مرة القبول والإيجاب.

3- الجزائر و إنجلترا: علاقات تقارب وتباعد بخلفيات ضغوط الباب العالي :

على الرغم من أن إنجلترا ليست إحدى الدول المتوسطية إلا أن لها تجارة رائجة ونشطة، فأساطيلها التجارية كانت معرضة في أغلب الأحيان إلى الوقوع في قبضة قراصنة المتوسط سواء الأوروبيين أو المغاربة، وقد كان للدولة العثمانية الدور البارز والسيادة الكاملة على هذا المجال البحري خاصة في شرقه، ولهذا كان لزاما على إنجلترا إيجاد وسيلة تُقربها من السلاطين العثمانيين.

وتعود أولى الإتصالات الرسمية بين سلاطين الدولة العثمانية وملوك إنجلترا إلى تلك الرسالة التي بعثها السلطان العثماني "مراد الثالث" إلى الملكة "إليزابيث الأولى" بتاريخ 20 مارس 1579م، والتي تضمنت موافقة السلطان العثماني على تقديم إمتيازات واسعة للإنجليز في الأقاليم العثمانية[55]، وقد كانت ذا طابع تجاري وهذا مقتطف منها: "...بلادنا كانت دائما مفتوحة لكل

أعدائنا وحلفائنا، لكن وبعدما أُعْلمنا بأن سيادتكم ترغب في بناء علاقة وطيدة معنا، فإن بلادنا ستبقى دائما مفتوحة لمواطنيكم...وأن سفنكم التجارية سواء الكبيرة أو الصغيرة منها ستكون آمنة في نطاق سيطرتنا، عند قدومها ثم عودتها إلى إنجلترا ثانية...وإن لتجاركم الحرية في القدوم والعودة مرة ثانية إلى أوطانهم، لهم الحق في تحميل ما يشاؤون من سلع كباقي المسيحيين، شرط عدم الإخلال بالنظام..."[56]، وقد رحبت الملكة الإنجليزية بهذه الرسالة وردَّت عليه برسالة مماثلة بتاريخ 25 أكتوبر 1579م، وقد دعت السلطان العثماني منح التجار الإنجليز المزيد من الحرية التجارية، وإن كان بمقدوره التدخل لتحرير الأسرى الإنجليز والذين يُستغلون كمجدفين في السفن العثمانية أو الأقاليم التابعة للإمبرطورية، وقد كانت هذه أولى الإشارات لتطور العلاقات بين الطرفين، والتي أعطت للإنجليز دفعا قويا للولوج إلى العالم المتوسطي[57] ومحاولة التأثير فيه. وأيضا، فإن التقارب العثماني-الإنجليزي نهاية القرن 10هـ/16م " سمح للقراصنة الإنجليز بإستخدام المرافئ العثمانية في شمال إفريقيا...كقواعد وأسواق للغنائم التي يحصلون عليها من الدول الكاثوليكية"، وأبعد من هذا كان هدفهم إقامة علاقات مباشرة مع الإيالات المغاربية وخاصة الجزائر، وقد كان العديد من القراصنة الإنجليز مَنِ انضم إلى البحارة الجزائريين في عديد نشاطاتهم في المحيط الأطلسي[58]، فهذا التحفيز من الدولة العثمانية للإنجليز ساهم كثيرا في دخولهم إلى الحوض المتوسطي[59].

ولقد كانت سياسة إيالة الجزائر الخارجية قائمة على المرونة والليونة الدبلوماسية، واتسمت بالإقتناع المطلق بالتفوق البحري والاعتقاد باستمرارية الدولة ككيان سياسي في إطار

عربي إسلامي[60] خاصة مع بداية القرن 11ه/17م، وهو الشيئ الذي استغلته عديد دول أوروبا -ومنها إنجلترا- للتقرب منها وإقامة علاقات حسنة تضمن لها أمن وسلامة سفنها التجارية متوسطيا.

وباعتبار الجزائر إحدى الإيالات المغاربية في غرب المتوسط وأقواها، فقد كان التأثير العثماني في سياساتها كبيرا، ويتضح ذلك خاصة في العهود الأولى للحكم العثماني (البايلربايات، الباشوات والآغوات)، وبإيعاز من السلاطين العثمانيين استطاع الإنجليز الحصول على تمثيل دبلوماسي بالجزائر سنة 986ه/1580م، "وعُيِّن أول قنصل إنجليزي من قبل التجار الإنجليز حيث اختاروه من بينهم ولم يكن للدولة دور في الأمر وقد عمل القنصل "جون تيبتون" كل مافي وسعه على حسب الإمكانيات المتوفرة"[61]، وبهذا أصبح بإمكان التجار الإنجليز ممارسة تجارتهم في البحر المتوسط بحرية وأمان، ووصل الأمر بذلك إلى منحهم "جوازات سفر"، ففي سنة 989هه/1583م منح نائب حاكم إيالة الجزائر جواز سفر (Passeport) لأحد التجار الإنجليز وهذا مقتطف مما جاء فيه: "نحن نائب مملكة الجزائر حسان آغا، منحنا التاجر توماس سينغلتون وبحارته جواز سفر، يسمح له بالإبحار في المتوسط بكل حرية...ونأمر بحارتنا وقادة المشرق بعدم التعرض لهذا التاجر..."[62].

وفي هذا الإطار يقول "'محمد أنيس" أنه "في سنة 1008ه/1602م نقلت سفينة تجارية إنجليزية تسمى "أنجل" (Angel) من لندن الملابس والقصدير والرصاص ليباع في الجزائر"[63]، وهي إشارة واضحة على التحسن التدريجي للعلاقات الجزائرية-الإنجليزية بداية القرن 11ه/17م. وعلى الرغم من التقارب الرسمي بين إنجلترا والدولة العثمانية نهاية

القرن10ه/16م والترحيب المتبادل بينهما، رأت إنجلترا أنه من الضروري الدخول إلى البحر المتوسط تحت غطاء وذريعة الامتيازات التي تحصلت عليها من الباب العالي

ولقد كانت إنجلترا أقل الدول الأوروبية تأثرا بالصراع البحري المتوسطي مع إيالة الجزائر وبحارتها، وذلك بسبب بعدها الجغرافي عن هذا المجال البحري، لكن بعد تأكدها من أهميته الاقتصادية زاد إهتمامها به، لا سيما وأنها لمست ما حققته إسبانيا والبرتغال من مغانم عبر غزواتهم البحرية، فأطلق خلالها الملك الإنجليزي "جاك الأول" حرية العمل لقراصنته الذين حققوا أرباحا خيالة من هجماتهم على مختلف السفن في البحر المتوسط وخارجه[64]. وتعود أولى هجمات البحارة الجزائريين ضد السفن التجارية الإنجليزية في البحر المتوسط وخاصة في غربه إلى بداية القرن 10ه/16م، وهذا باعتبار أن الإنجليز لم يوقعوا أي معاهدة سلم وصداقة وتجارة لا مع السلاطين العثمانيين ولا مع حكام الإيالة[65]، واستمر هذا الوضع حتى بداية القرن 11ه/17م، حيث أن رياس البحر الجزائريين كانوا يرفضون مختلف جوازات المرور الممنوحة لهم سواء من طرف مسؤولي الإيالة أو حتى من طرف الباب العالي، فكانت أغلب السفن الإنجليزية العابرة للبحر المتوسط من أهم أهداف هؤلاء البحارة، خاصة وأن أغلبها تحمل سلعا وبضائع تجارية موجهة إلى المشرق. واقع حتَّم على ملوك إنجلترا إعداد خطط للقضاء على الأسطول الجزائري، فكُلّف قرصانان إنجليزيان بهذه المهمة حيث تظاهرا ببيعهما لسفينة تجارية غنموها من الإسبان، لكن انكشف أمرهما بعد ظهور المالك الحقيقي للسفينة وهو تاجر بندقي وتم كشف خطة القرصانان، وبعد الضغط عليهما من طرف البحارة الجزائريين أقرا بأنهما كُلِّفا بإحراق سفن البحرية الجزائرية، فاحتج باشا الجزائر للملكة "إليزابيث" ولم يتم إتخاذ أي إجراء جراء هذه الواقعة[66]، وما زاد من تعقيد وضع العلاقات بين

حكومتي البلدين بداية القرن 11ه/17م، هو معاهدة الصلح الإنجليزية- الإسبانية سنة 1010ه/1604م[67]. هذه الحادثة أدت إلى زيادة الغارات الجزائرية ضد السفن الإنجليزية في البحر المتوسط والسواحل البريطانية، ففي" سبتمبر سنة 1008ه/1602م كتب كبير أمراء البحر الإنجليز إلى القنصل بالجزائر وإلى السفير في إستانبول يحتج على احتجاز السفينة ماريغولد (Marigold) في عرض المحيط الأطلسي وفقد حوالي 1730 جنيه إسترليني"، كما أكد القنصل الإنجليزي بإسبانيا في عهد الملك "جيمس الأول"[68] أن 466 إنجليزي تم أسرهم من رياس بحر جزائريين واسترقوهم، وكان رد فعل الحكومة الإنجليزية هو منح عديد التراخيص لضباط بحر إنجليز للخروج في غارات ضد السفن الجزائرية[69]. وقد اعتمدت "شركة المشرق" الإنجليزية استراتيجية تسليح سفنها التجارية العابرة للحوض المتوسطي من قراصنة الجزائر، وذلك بإرسال قوافل من السفن الحربية المسلحة تسليحا جيدا، "والواقع أن واحدة من تلك السفن كانت مسلحة بتسعة عشر مدفعا قد قاومت خمس غليوطات تركية بقيادة علج إنجليزي اسمه "والسينهام" (Walsynham) وأجبرتها على التراجع"، ويشير "ب.وولف" إلى أنه في "إحدى المعارك سقط نصف أسطول الصيد المتألف من ثلاثين سفينة فريسة في أيدي البحارة الجزائريين خارج شواطئ نيوفاوندلاند، وهكذا فإنه ابتداءا من العقد الثاني للقرن السابع عشر أصبح أسطول البحارة المنطلق من الجزائر يشكل تهديدا خطيرا لحركة السفن البريطانية وسفن الدول الشمالية الأخرى"[70]. ومع تزايد حملات الإستيلاء على سفن إنجلترا في البحر المتوسطي من قِبل بحارة الجزائر، قرر قصر "باكنهام" (Buckingham) سنة 1026ه/1620م توجيه حملة عسكرية تأديبية ضد الأسطول الجزائري وتم إسنادها إلى "روبير مانسيل" (Robert Mansel)، والذي حصل على وعود من الملك الإسباني بتقديم بعض

المساعدات العسكرية، فجُهِّزت أرمادة مكونة من 6 سفن حربية ذات 230 مدفعا، 12 سفينة تجارية مزودة بـ 243 مدفعا، بالإضافة إلى سفينة القائد "مانسيل" ذات حمولة 600 طن و40 مدفعا و250 بحار، فوصل الأسطول قبالة مدينة الجزائر أواخر شهر نوفمبر سنة 1620م، ورغم الخطط التمويهية التي قام بها "مانسيل" إلا أن قوات باشا الجزائر نجحت في صد وإفشال هذه الغارة، وبمقابل ذلك أدت إلى تحرير 40 أسيرا إنجليزيا مُسِنًا[71]. وبعد مرور عامين على هذه الحملة، استطاع "توماس روي" (Thomas Roe)-القنصل الإنجليزي لدى الباب العالي- توقيع معاهدة سلام وتجارة بين الدولتين، تضمنت تعيين "جيمس فريزل" (Jemes Frizell) في منصب قنصل إنجلترا في الجزائر، وأيضا الترخيص للتجار الإنجليز بتصريف منتوجاتهم من الأقمشة في الأسواق الجزائرية، كما وافق الملك الإنجليزي على فدية" 17 "تركيا" كان مانسيل قد باعهم في إسبانيا مع عدد مشابه من الأرقاء الإنجليز"[72]. ويُعد "مراد رايس" أهم رياس البحر الجزائريين الذين تمكنوا من نقل نشاطاتهم البحرية إلى سواحل إنجلترا، ففي 20 جوان 1631م شن –بمساعدة 230 بحار- غارة بحرية على ميناء "بالتيمور" الواقعة غرب مقاطعة كورك الإيرلندية والخاضعة للنفوذ الإنجليزي[73]، وقد وصف هذه الغارة "دس إيكن"(Des Ekin) -أحد الكتاب الإيرلنديين- بقوله: "كان القراصنة البرابرة يحملون بنادق وقضبان حديدية لكسر الأبواب، وكانت القوات التركية تلبس صدرياتها الحمراء الزاهية الألوان والقبعات المريشة...هؤلاء الجنود هم الإنكشاريون الأسطورة النخبة المختارة، كانوا مدربين تدريبا عاليا وماهرين في كل فنون القتال والحرب"[74]، وأُسِر خلالها حوالي 104 شخص ونُقِلوا أسارى إلى مدينة الجزائر[75]. ويشير "روبير دافيس" (Robert Devis) أنه "في الفترة ما

بين (1034-1047هـ)/(1628-1641م) غَنِم بحارة الجزائر حوالي 131 سفينة إنجليزية، وأَسَرُوا أكثر من 2555 أسير"[76]، وهي أحد الدلالات التي تؤكد لنا بأن النصف الأول من القرن 11هـ/17م يُمثل بالفعل العصر الذهبي للبحرية الجزائرية. وتعتبر معاهدة " روي" التي وضعت حدًّا للحرب الأولى بين إنجلترا والجزائر أرضية لباقي المعاهدات التي وُقّعت فيما بعد[77]، ولعل أبرزها معاهدة 23 أفريل 1662م التي تضمنت 14 بندا تقضي بضرورة تحقيق سلم حقيقي بين الدولتين، بحيث لا تعترض سفن كل دولة سفن الدولة الأخرى، "بل يُعَامِل أحدهما الآخر بكل إحترام وصداقة ممكنة، وأن أي سفينة تابعة لملك بريطانيا العظمى أو أي من رعاياه، يُمكن له أن يأتي بشكل حر إلى ميناء الجزائر...وأيضا إلى أي ميناء آخر تابع للحكومة الجزائرية"[78].

ورغم الصراعات البحرية التي عرفتها فترة القرن 11هـ/17م بين الجزائر وإنجلترا، إلا أن بعض التقارب المصلحي التجاري المشترك بدا واضحا في نهاية القرن 11هـ/17م، حيث أشار "محمد أمين" أنه بعد توقيع معاهدة 22 أفريل 1689م -ذات الطابع التجاري- تمكن تاجر جزائري يدعى "الحاج أحمد" من تصدير شحنة من القمح إلى منطقة جبل طارق الإنجليزية وقُدَّرت كميتها بـ 4000 قفيز بالإضافة إلى كيسين من الحرير، وتاجر آخر يدعى "عبد الرحمن" تمكن من تصدير صندوق متنوع من البضائع إلى نفس الوُجهة، ويضيف محدثنا كذلك أن تاجرًا جزائريا إشترى من لندن بضائع مختلفة من أقمشة، أغطية، مناديل، سجاد، ومنتوجات هندية كالتوابل، والمنسوجات، وقهوة وشاي[79]، وما يُستخلص من هذا أن الحركية التجارية

تواصلت بين البلدين رغم عديد الصدامات البحرية والمخاطر التي كانت تهددها، فتكونت بذلك علاقات متباينة في إطار محدود.

4- الجزائروهولندا: الدبلوماسية المتصدعة والمصلحة التجارية المشتركة :

كانت هولندا (نيذرلاند) قبل القرن 11ه/17م إحدى الممتلكات الجغرافية التابعة للمملكة الإسبانية، ففي عهد الملكة "إليزابيث الأولى" اجتاح الهولنديون رغبة كبيرة في الإستقلال عن الإسبان، ولعل السبب في ذلك هو محاولة جعلهم يُدينون بالكاثوليكية، وهو الشيء الذي لم يتقبله الهولنديون البروتستانت، واكتشفوا أن تبعيتهم للإسبان يهدد بروستانيتهم[80]. كما طلب "فيليب الثاني" من "شارل الخامس" أن يجعل من هولندا ملكية مطلقة، لأن وضعها وموقعها الجغرافي الإستراتيجي المطل على القناة الإنجليزية ومختلف مواردها ستساعده على التوسع في أوروبا[81].

والجغرافية الطبيعية لهولندا -المطلة على بحر الشمال- جعل منها محور تجاري هام في شمال غرب أوروبا، حيث تمكن التجار الهولنديون من توسيع نشاطاتهم إلى كل من دول بحر البلطيق في الشمال ودول إسكندنافيا وأمريكا والهند، فمنذ سنة 991ه/1585م أصبحت مدينة أمستردام مركز الحياة الاقتصادية للأراضي المنخفضة، وتعدت أهميتها بأن أصبحت احدى المراكز التجارية في أوروبا، "ففي سنة 1001ه/1595م قاد "كورنوليس هوتمان" أسطولا صغيرا يتألف من أربع سفن واتجه نحو الشواطئ الغربية لإفريقيا حتى وصل إلى رأس الرجاء الصالح ومنه ذهب إلى جاوة الأندونيسية حيث أقام بها مركزا تجاريا" هاما في جنوب شرق آسيا، "وفي سنة 1004ه/1598م انطلقت 80 سفينة هولندية نحو عدة جهات"، فحط بعضها في غينيا على شواطئ إفريقيا الغربية وأخرى اتجهت نحو الهند، حيث عاد التجار

الهولنديون إلى وطنهم بمختلف البضائع والسلع مثل اللؤلؤ والشاي والتوابل...وغيرها، ونتج عن هذه الرحلات التجارية تأسيس "شركة الهند الشرقية الهولندية" سنة 1008هـ/1602م[82].

وعلى اعتبار البحر المتوسطي وخاصة غربه منطقة جغرافية جذابة تتنافس فيه مختلف القوى[83] الأوروبية والمغاربية، أرسل الهولنديون أساطيلهم للدخول إلى المنظومة التجارية المتوسطية، لكن الهولنديين اكتشفوا صعوبات العالم المتوسطي في ظل السيطرة المغاربية على أغلبه ومن بينها إيالة الجزائر[84]، فانتهجت هولندا نفس نسق فرنسا وإنجلترا لدخول البحر المتوسط، وذلك بعدما استطاعت التقرب من الدولة العثمانية والتوقيع على معاهدة إمتيازات لها سنة 1018هـ/1612م غلب عليها الطابع التجاري[85]، فحصلت بموجبها على تسهيلات المتاجرة مع الأقاليم العثمانية في المشرق وبلاد المغارب، كما حصل التجار الهولنديون على تعهد "بعدم أسرهم من قِبل بحارة شمال إفريقيا طالما أن الهولنديون لم يلجأوا إلى أعمال القرصنة"[86]. أما "الرياس الجزائريون فقد أصروا على حقهم في مصادرة بضائع عدوهم واسترقاق رعاياه حيث يوجدون مهما كانت السفن التي كانوا عليها... فالجزائريون لم يقبلوا، عن رضى، الحصانة التي أعطتها معاهدة السلطان للسفن والبحارة الهولانديين. ذلك أن السفن الهولاندية كانت هدفا مغريا لأنها، خلافا للسفن الإنكليزية التي كانت كبارها محملة بأسلحة ثقيلة، كانت في العادة سفنا صغيرة مسلحة تسليحا خفيفا مما يجعلها هدفا للرياس

البحارة"[87]، وهو ما أدى فيما بعد إلى توسع نشاط بحارة الإيالة، فاستولوا بين سنتي (1019-1028هـ)/(1613-1622م) على 447 سفينة هولندية كغنائم بحرية[88].

وتعتبر العلاقات الجزائرية-الهولندية أسبق من تلك التي أسَّست لعلاقات رسمية مع الدولة العثمانية، حيث أنه في سنة 1010هـ/1604م تلقى باشا الجزائر رسالة من السلطات الهولندية تضمنت تمكن بحارة هولنديون من تحرير أسرى مسلمين أتراك كانوا على متن سفينة إسبانية في منطقة "الفلاندر" الواقعة في شمال أوروبا دون اشتراط أي فدية، وبمقابل ذلك قام الجزائريون بتحرير مجموعة أسرى هولنديين كانوا بسجون الإيالة[89]، فهل هي أولى الإشارات على حسن نية الطرفين في إقامة علاقات حسنة؟. وانضم الهولنديون إلى أعمال القرصنة ضد السواحل الجزائرية مشتركة مع دول أوروبية أخرى، ومن أهم هذه الغارات تلك التي شنتها سفنا هولندية مع سفن إسبانية على مدينة جيجل سنة 1012هـ/1606م وأدت إلى تدمير بعض السفن الراسية بالميناء، كما شنت سفنا هولندية سنة 1022هـ/1616م غارة أخرى على نفس الميناء بالإشتراك مع سفن إنجليزية وإسبانية[90]. بعدئذ وفي سنة 1028هـ/1622م "تجاوز الهولنديون السلطان العثماني وعقدوا معاهدة أخرى مع "مدينة ومملكة الجزائر"[91]، حيث قرر القادة الهولنديون إرسال مبعوث إلى الجزائر وهو "كورنليس بيناكار"(Cornelis Pynacker) العارف بلغات المشرق كأمل لها لإبرام إتفاق مع سلطات الجزائر[92]، وبالفعل في أكتوبر 1622م أبرمت أول معاهدة بين الجزائر وهولندا من خلال رسالة وجهها "حسين باشا" (1027-1029هـ)/(1621-1623م) إلى ملك هولندا واحتوت على 14 بندا وجاء فيها توجيه

الدعوة للسلم والصداقة والتعاون، ومن هذه البنود البند رقم 7 المتعلق بتبادل الأسرى بين الطرفين ونص على "أن عددا من رعايا سيادتكم وأناس متمردين وأشرار احتجزوا في عرض البحر بعض المسلمين من الجزائر وباعوهم كعبيد إلى جزيرة مالطا، وبسبب بيع العديد من الأتراك فإننا نمنع الهولنديين الموجودين هنا من العودة إلى بلادهم قبل الإفراج عن المسلمين المذكورين وعودتهم إلى هنا. إننا أوفياء لما نَعِدُ به ونريد أن نعيش معكم في سلم"[93]، وهي إشارة قوية من مسؤولي إيالة الجزائر ورغبتهم في جعل هولندا إحدى الدول الصديقة في الحوض المتوسطي وخارجه.

لكن البحارة الجزائريون كانوا غير مستعدين لتفويت فرصة الاستيلاء على الغنائم الضخمة، واستمروا في الإستيلاء على السفن الهولندية، ولذلك ظهر سنة 1030هـ/1624م أسطول هولندي في البحر الأبيض المتوسط واستولى على عدد من السفن الجزائرية، ثم أرسى أمام مدينة الجزائر، فطلب قائده أمير البحر "لامبير" (Lambert) إطلاق سراح جميع الأرقاء واحترام المعاهدة المتفق عليها[94].

وقد لعبت البعثات الدبلوماسية الهولندية المتتابعة إلى إيالة الجزائر بين سنتي (1031-1070هـ)/(1625-1664م) دورا هاما في تقريب وُجُهات نظر البلدين رغم عديد الظروف التي صعَّبت من ذلك، ولعل أهم هذه البعثات:

- "البعثة الثانية لبيجناكير" سنة 1031هـ/1625م والتي جاءت بعنوان " السلام دون العمل بمبدأ سفينة حمولة حرة وأن تفتيش البضائع[95] على السفن يُعد عملا منافيا للشرف"، وانتهت بتوقيع اتفاق سلام آخر في 1032هـ/1626م[96].

- "بعثة رويتر الثانية" سنة 1068هـ/1662م وهي بعثة دبلوماسية أخرى لإحلال السلم بعد الغارة العسكرية التي قادها "دي رويتر" سنة 1061هـ/1655م، ويؤكد لنا "جيرارد فان كريكن" (Gérard Van Kreiken) بأنها بعثة ناجحة وتُوّجت بمعاهدة أخرى في أفريل 1662م[97]، ونتج عنها أيضا تحرير 55 هولنديا، وهدنة لمدة 7 أشهر تقضي بعدم تعرض بحارة الجزائر للسفن الهولندية في البحر المتوسط[98]، ونصت أيضا على "إقامة سلم وتحالف بين هولندا وقادة وحكام مملكة الجزائر وعلى أن تكون السفن التابعة للمواطنين حرة وحتى الرجال والبضائع التي تكون على متنها"[99]، كما قضت أيضا بحق الجزائر في "تحصيل إتاوات على السلع الإسبانية والإيطالية الموجودة على ظهر السفن التجارية الهولندية"[100].

لكن العلاقات الثنائية عادت إلى التدهور مجددا بعد شن حملة مشتركة بين إنجلترا وهولندا سنة 1076هـ/1670م مكونة من "خمس سفن إنجليزية بقيادة الضابط "ريشارد ألين" (Richard Allen) وأربع سفن هولندية بقيادة "ويليام فان خانت" (Williem Van Gent)" والتي تصدى لها الأسطول الجزائري قبل وصولها إلى مدينة الجزائر[101].

وما يمكننا استخلاصه في هذا الصدد "أن الأساطيل الهولندية كانت تفضل موكب السفن التجارية عن السفن التي تطارد البحارة الجزائريين"[102]، وأن الدخول في صراع بحري ضد الأسطول الجزائري وبحارته يعتبر مجازفة ومغامرة غير محمودة ومعلومة العواقب.

خاتمة:

مما سبق قوله نستخلص أن ثنائية: الجزائر- دول أوروبا، غلب عليها المد والجزر في إطار المصلحة المشتركة والتباعد العدائي، وقد شكَّل التقارب الجزائري المصلحي-الاقتصادي والسياسي خاصة- مع فرنسا وهولندا وإنجلترا داخل المنظومة المتوسطية خلال القرنين 11ه/17م، دفعا قويا لإعلان إسبانيا في نهاية القرن 12ه/18م آفاقا جديدة في علاقاتها مع إيالة الجزائر، فرسمت بذلك أولى الكيانات السياسية العثمانية في بلاد المغارب استراتيجيتها السياسية والعسكرية في العالم المتوسطي.

الهوامش:

(1) محمد الأمين عطلي، **نشاط البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر و أثره في العلاقات الجزائرية الفرنسية**، رسالة ماجيستر، إشراف عمار بن خروف، قسم التاريخ، معهد العلوم الانسانية والاجتماعية، المركز الجامعي غرداية، 2011-2012، ص 117.

(2) وليم سبنسر، **الجزائر في عهد "رياس البحر"**، تعريب وتقديم: عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006.، ص 14.

(3) عبد المجيد القدوري، **سفراء عرب في أوروبا (1610-1922م) "الوعي بالتفاوت"**، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبوظبي، 2006، ص 58.

(4) إبراهيم سعيود، **الأسرى المغاربة في "ايطاليا" خلال العهد العثماني**، أطروحة دكتوراه، إشراف عائشة غطاس، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، 2009-2010، ص-ص 102-103.

(5) نور الدين عبد القادر، **صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى إنتهاء العهد التركي**، دار الحضارة، الجزائر، 2006، ص-ص 35-36.

(6) محمد بن عبد الوهاب بن عثمان المكناسي، **إحراز المعلى والرقيب في الحج إلى بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب، "رحلة المكناسي"**، تحقيق وتقديم: محمد بوكبوط، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبوظبي، 2003، ص-ص 330-331.

(7) بلقاسم قرباش، **الأسرى الأوربيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830)**، أطروحة دكتوراه، إشراف بوغفالة ودان، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، 2015-2016، ص 54.

(8) مصطفى بن حسن خوجة، **التبر المسبوك في جهاد غزاة الجزائر والملوك**، مخطوط بالمكتبة الوطنية (الحامة)، الجزائر، رقم 1640، ص 2.

(9) نفسه، ص 2.

(10) رحمونة بليل، **العلاقات التجارية لإيالة الجزائر مع بعض موانئ البحر المتوسط، مرسيليا وليفورن من 1700 إلى 1827م**، رسالة ماجيستر، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الانسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2001-2002، ص 6.

(11) ماتيوس أندرسون، **تاريخ القرن الثامن عشر في أوروبا**، تعريب: نورالدين حاطوم، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1988، ص 271.

(12) قرباش، **الأسرى**، مرجع سابق، ص 60.

(13) بوحفص تجاجنة، **الحملات العسكرية لدول غرب أوروبا المتوسطية على الجزائر (1145هـ-1732م/1246هـ-1830م)**، رسالة ماجيستر في التاريخ الحديث، إشراف مختار حساني، قسم التاريخ، معهد العلوم الانسانية والاجتماعية، المركز الجامعي بغرداية، 2010-2011، ص 39.

(14) جميلة ثابت، **دور الأعلاج في العلاقات بين الجزائر ودول جنوب غرب أوروبا خلال القرنين 10-11هـ/16-17م**، رسالة ماجيستر في التاريخ الحديث، إشراف عمار بن خروف، قسم التاريخ، معهد العلوم الانسانية والاجتماعية، المركز الجامعي بغرداية، 2010-2011، ص 104.

(15) عبد القادر فكاير، **الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية و آثاره (910-1206هـ/1505-1792م)، "دراسة تتناول الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية على الجزائر"**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 73.

(16) تجاجنة، مرجع سابق، ص 39.

(17) الآغا بن عودة المزاري، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**، تحقيق ودراسة: يحي بوعزيز، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص-ص 229-230.

(18) ب جون وولف، **الجزائروأوروبا (1500-1830)**، ترجمة وتعليق: أبو القاسم سعد الله، دار رائد، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 244.

(19) امحمد بن موفقي، **العلاقات السياسية والتجارية بين الجزائروإسبانيا (1200هـ-1786م/1245هـ-1830م)**، رسالة ماجيستر في التاريخ الحديث، إشراف مختار حساني، قسم التاريخ، معهد العلوم الانسانية والاجتماعية، المركز الجامعي بغرداية، 2010-2011، ص 78.

(20) بومدين دباب، **الأسرى والسجون في مدينة الجزائر العثمانية (1519-1830م)**، رسالة ماجيستر في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف حنيفي هلايلي، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2007-2008، ص 72.

(21) Albert Sacerdoti, **" L'esclavage Chrétien en Barbarie au XVIIIe siècle "**, *R.A*, Vol 93, 1949, p 135, 137.

(22) حنيفي هلايلي، **" القرصنة وشروط افتداء الأسرى الإسبان بالجزائر العثمانية "** ، *مجلة الآداب والعلوم الانسانية*، جامعة سيدي بلعباس، العدد 4، أفريل 2005، ص 247.

(23) أحمد الشويف الزهار، **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار"نقيب أشراف الجزائر"**، تقديم وتعليق: أحمد توفيق المدني، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1974، ص 26.

(24) هلايلي.ح، **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر، 2008، ص 75.

(25) ناصر الدين سعيدوني، **النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792-1830)**، ط2، م.و.ك، الجزائر، 1985، ص 195، 197.

(26) فكاير، **الغزو**، مرجع سابق، ص-ص 257-258، راجع أيضا، سعيدوني، مرجع سابق، ص 197.

(27) جمال قنان، **قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**، م. و. ن. ت، 1994، ص 31، 40.

(28) محمد عبد القادر الجزائري، **تحفة الزائر في تاريخ الجزائروالأمير عبد القادر**، شرح وتعليق: ممدوح حقي، دار اليقظة العربية، بيروت، 1964، ص 126.

(29) Braudel (F), **" L'écononmie de la Méditerranée au XVIIésiècle "**. *C.T*, 1956, p 178 ,

(30) Mamain.R, **Le Matériel de la marine de guerre sous Louis XIV, Rochefort, Arsenal modèle de Colbert (1666-1690)**, Hachette, Paris, 1936, pp 4-5.

) Paul Masson, **Histoire du Commerce Français dans le Levant au XVIIe siècle**, Libraire 31(Hachette, Paris, 1911 ,p xxiv (Introduction).

(32) مبارك بن محمد الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، تقديم وتصحيح: محمد الميلي، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964، ص 151.

) Stanly Lane-Poole, **The story of the Barbary corsairs, New York**: G.P Putnam's Sons, 33(- 1890, p 255.

William H.McNeill, Senior Editor; Jerry H.Bentle, David Christian,... , **Encyclopedia of**)(34- , Berkshire Publishing Group LLC, United States of America, 2005, p 2**World History**, Vol 781,790.

-راجع أيضا: عائشة غطاس، **العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر (1619-1694م)**، رسالة ماجيستر، إشراف مولاي بالحميسي، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1984-1985، ص 36.

(35) غطاس، مرجع سابق،، ص-ص 36-37.

, Chez Nicolas Gasse,) Bréves F. Savary, **Relation des voyages de Monsieur De Bréves**36(Paris, 1628, p 377.

(37) غطاس، مرجع سابق، ص 39.

(38) **سيمون دانسا**: قرصان فلامنكي من أصل هولندي من دوردتريخت، استقر في مرسيليا ومنها تزوج، انضم إلى البحارة الجزائريين للعمل معهم في البحر المتوسط، تظاهر بإسلامه (Rénegat) وغير اسمه إلى "دالي رايس"، وحقق انتصارات باهرة واستولى خلالها على غنائم كثيرة جعلته محل إعجاب الأهالي وباشا الجزائر، وما زاد من شهرته في الإيالة هو إدخاله لتقنيات تصنيع هامة على البحرية الجزائرية تمثلت في استعمال السفن الدائرية، وكافأه الباشا بإعارته مدفعين من البرونز ليُسلّح بهما سفينته، لكنه استولى عليهما وقدمهما هدية لحاكم البروفانس "الدوق دوغيز" وبهما استفاد من عفو ملكي فرنسي سنة 1015هـ/1609م، للمزيد راجع، إسماعيل جودي، **الصناعة العسكرية في الجزائر في العهد العثماني (1518-1830)**، رسالة ماجيستر في التاريخ الحديث، إشراف مختار حساني، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2008-2009، ص 113، 115.

(39) للمزيد عن هذه المجزرة أنظر،

- De Grammont, **Histoire du massacre des Turcs à Marseille en 1620**, Paris, 1879, p 14.

(40) جمال قنان، **معاهدات الجزائر مع فرنسا (1619-1830م)**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص-ص 66-67.

(41) Daniel Panzac, **Les Corsaires Barbaresques, la fin d'une Epopée**, édition C.N.R.S, Paris, 1999, p 25.

(42) ب.وولف، مرجع سابق، ص-ص 267-268.

(43) نفسه، ص 271.

(44) للمزيد عن تفاصيل هذه المراسلة وهذه الحادثة أنظر، أوجان بلانتيت، **مراسلات دايات الجزائر إلى ملوك ووزراء فرنسا (1579-1700م)**، ترجمة وتحقيق: سلاطنية بن داود، قوشام حفيظة، ط1، ج1، دار الوعي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 148، 157.

(45) نفسه، ص-ص 200-201.

(46) غطاس، **العلاقات الجزائرية**، مرجع سابق، ص 51، 53.

(47) قنان، **معاهدات الجزائر**، مرجع سابق، ص 314.

(48) غطاس، مرجع سابق، ص 54.

(49) بلانتيت، مصدر سابق، ج2، ص-ص 360-361.

(50) Jeremy Black, **European Warfare (1494-1660)**, Routledge, New York, 2002, p 142.

(51) Dan, (R.P.P), **Histoire de la barbarie et de ses corsaires**, Récollet imp, Du Roy, 2éme édition, Paris, 1637, p 320.

(52) بلانتيت، مصدر سابق، ج1، ص-ص 65-66.

(53) ب.وولف، مرجع سابق، ص 290.

(54) غطاس، **العلاقات الجزائرية**، مرجع سابق، ص 62.

(55) قرباش (ب)، **العلاقات الجزائرية الإنجليزية الأولى من منظور إنجليزي (1550-1620)**، ضمن بحوث ودراسات تاريخية، أعمال مهداة للأستاذ لعميد عبد العزيز، إعداد وتنسيق: قاصري محمد السعيد، ط1، مطبعة نواصري (المسيلة)، الجزائر، 2017، ص 533.

(56) Richard Hakluyt, **The principal navigations, Voyages, Traffiques and discoveries of English Nation, made by sea or over-land...exc**, 2nd, George Bishop, Ralph Newbery, Robert Barker, London, 1599, p 253.

(57) قرباش، **العلاقات**، مرجع سابق، ص 533.

(58) خليل إينالجيك، دونالد كواترت، **التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية، مج1**، تر: عبد اللطيف الحارس، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2007، ص 522.

(59) بول كولز، **العثمانيون في أوربا**، تر: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1993، ص 143.

(60) عبد القادر صحرواي، عائشة جميلة، **" التمثيل الدبلوماسي في الجزائر خلال العهد العثماني في ضوء الفرمانات العثمانية"** ، *مجلة الحوار المتوسطي*، منشورات مخبر البحوث والدراسات الإستشراقية، جامعة الجيلالي ليابس، الجزائر، العددين 15-16، مارس 2017، ص 495.

(61) قرباش، **العلاقات الجزائرية**، مرجع سابق، ص 534.

(62) قرباش، **الأسرى**، مرجع سابق، ص 35.

(63) محمد أنيس، **إنجلترا وطريق السويس في القرن الثامن عشر**، ترجمة وتقديم وتعليق: عبد الوهاب بكر، تصدير: علي بركات، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، مصر، 2009، ص 23.

(64) بسام العسلي، **الجزائروالحملات الصليبية (1547-1791م)**، ط3، دار النفائس، بيروت، 1986، ص-ص 110-111.

(65) قرباش، **العلاقات**، مرجع سابق، ص 535.

(66) ب.وولف، مرجع سابق، ص-ص 250-251.

(67) قرباش، **الأسرى**، مرجع سابق، ص 43.

(68) **جيمس الأول**: بعد وفاة "إليزابيث الأولى" آخر ملوك أسرة تيودور، انتقل التاج في سنة 1009هـ/1603م إلى "جيمس السادس" ابن "ماري ستيوارت"، ابنة عم عمها التي كانت قد أعدمتها، وكان ملكا على اسكتلندا وأصبح ملكا على إنجلترا باسم جيمس الأول، أنظر، جفري برون، **تاريخ أوروبا الحديث**، تر: على المرزوقي، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان ، 2006، ص 267.

(69) ب.وولف، مرجع سابق، ص-ص 251-252.

(70) نفسه، ص-ص 252-253.

(71) نفسه، ص-ص 254-255.

(72) نفسه، ص 257.

(73) بالطيب، مرجع سابق، ص 13.

(74) نفسه، ص 17.

(75) نفسه، ص 13.

(76) Robert.C. Devis, **Cristian slave, Muslum masters, White slavery in th Mediterranean, the Barbary coast and Italy**, P.Algrave Macmillan, 2003, p 6.

(77) وولف، مرجع سابق، ص 258.

(78) علي تابليت، **معاهدات الجزائر مع بلدان أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية (1619-1830)**، ج1، منشورات ثالة، الجزائر، 2014، ص 147. كما وقّعت معاهدة أخرى يوم 3 ماي 1664م وهي معدلة ومتممة لسابقتها سنة 1662م، للمزيد عن هذه المعاهدة أنظر، نفسه، ص 149.

(79) Amine Mohamed, **Le Commerce extérieur d'Alger à la veille de 1830, essai d'histoire économique et sociale**, édition Barzakh, Alger, 2016, pp 109-110.

(80) قرباش، **الأسرى**، مرجع سابق، ص 37.

(81) عبد القادر فكاير، **" علاقات الجزائر مع هولندا خلال الفترة العثمانية "** ، *مجلة "المواقف" للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ"* ، منشورات المركز الجامعي مصطفى اسطنبولي، معسكر، العدد 1، ديسمبر-جانفي 2007، ص 187.

(82) فكاير، **علاقات الجزائر**، مرجع سابق، ص 188.

(83) نفسه.

(84) وولف، مرجع سابق، ص 259.

(85) فرنان بروديل، **المتوسط والعالم المتوسطي**، تعريب وإيجاز: مروان أبي سمرا، ط1، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1993، ص 120، ويراجع أيضا

John B.Hattendorf, **Naval Policy and Strategy in Th Mediterranean, (Past, Present and Future)**, Frank Cass, London, 2000, p 23.

(86) وولف، مرجع سابق، ص 260.

(87) نفسه، ص 261.

(88) نفسه.

Ottoman North Africa and the Duth Republic in the seventeenth ") Alexender de Groot, 89(
, *R.O.M.M*, N°39, 1985, p 131. **"and eighteenth centuries**

(90) فكاير، **علاقات الجزائر**، مرجع سابق، ص 188.

(91) ب.وولف، مرجع سابق، ص 262.

(92) فكاير، مرجع سابق، ص 188.

(93) تابليت، **معاهدات الجزائر**، مرجع سابق، ج1، ص 249.

(94) ب.وولف، مرجع سابق، ص 262.

(95) **حق تفتيش السفن البحرية**: مع تنامي ظاهرة القرصنة في البحر المتوسط خاصة خلال القرن 11ه/17م، برزت سياسة تمَلُّكْ بعض الأمم لبعض الجزر وأعطت لنفسها شرعية عليها "فإسبانيا أعلنت سيادتها على بحار العالم الجديد واعتبرت الدولة العثمانية البحر الأسود وبحر إيجة بحرا داخليا "، كما أعلنت البندقية سيادتها على البحر الأدرياتيكي، فانعكس ذلك على بعض قوانين البحر مما أدى إلى بروز صراع بحري طويل الأمد تمثل في " حق تفتيش السفن البحرية" ضمن هذه البحار المعلن عنها سيادة بعض الأمم المتوسطية، للمزيد عن ذلك أنظر، أحمد قاسم، **إيالة تونس العثمانية على ضوء فتاوى ابن عظوم (1574-1600م)**، تقديم: عبد الجليل التميمي، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 2004، ص 378.

(96) فكاير، **علاقات الجزائر**، مرجع سابق، ص 189.

(97) حول تفاصيل أكثر عن بنود معاهدة الجزائر مع هولندا سنة 1068ه/1662 راجع، قنان (ج)، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1500-1830)**، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 2007، ص 121 وما بعدها.

) Gérard Van Kreiken, **Corsaires et Marchands, les relations entre Alger et les Pays-Bas** 98(
(1604-1830), Edition Bouchene, Paris, 2002, p 58.

(99) تابليت، **معاهدات الجزائر**، مرجع سابق، ج1، ص 251.

(100) فكاير، **علاقات**، مرجع سابق، ص 191.

(101) نفسه ، ص-ص 192-193.

(102) نفسه، ص 193.

قائمة البيبليوغرافيا المعتمدة:

- أ/ المصادروالمراجع باللغة العربية:

01- أندرسون (ماتيوس)، **تاريخ القرن الثامن عشرفي أوروبا**، تعريب: نورالدين حاطوم، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1988.

02- أنيس (محمد)، **إنجلترا وطريق السويس في القرن الثامن عشر**، ترجمة وتقديم وتعليق: عبد الوهاب بكر، تصدير: علي بركات، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، مصر، 2009.

03- إينالجيك (خليل)، كواترت (دونالد)، **التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية**، 2 مج، تر: عبد اللطيف الحارس، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2007.

04- بالطيب (عبد اللطيف)، **أميرالبحرمراد رايس الأصغرالجزائري، من الجزائر إلى إيرلندا، (رد على كتاب "القرية المسروقة بالتيمور وقرصان البرابرة")**، دار النعمان للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014.

05- بن موفقي (امحمد)، **العلاقات السياسية والتجارية بين الجزائروإسبانيا (1200هـ-1786م/1245هـ-1830م)**، رسالة ماجيستر في التاريخ الحديث، إشراف مختار حساني، قسم التاريخ، معهد العلوم الانسانية والاجتماعية، المركز الجامعي بغرداية، 2010-2011.

06- الزهار (أحمد الشريف)، **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار"نقيب أشراف الجزائر"**، تقديم وتعليق: أحمد توفيق المدني، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1974.

07- العسلي (بسام)، **الجزائروالحملات الصليبية (1547-1791م)**، ط3، دار النفائس، بيروت، 1986.

08- المزاري (الآغا بن عودة)، **طلوع سعد السعود في أخباروهران والجزائروإسبانيا وفرنسا إلى أواخرالقرن التاسع عشر**، تحقيق ودراسة: يحي بوعزيز، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.

09- الميلي (مبارك بن محمد الهلالي)، **تاريخ الجزائرفي القديم والحديث**، تقديم وتصحيح: محمد الميلي، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964.

10- بروديل (فرنان)، **المتوسط والعالم المتوسطي**، تعريب وإيجاز: مروان أبي سمرا، ط1، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1993.

11- بلانتيت (أوجان)، **مراسلات دايات الجزائر إلى ملوك ووزراء فرنسا (1579-1700م)**، ترجمة وتحقيق: سلاطنية بن داود، قوشام حفيظة، ط1، 3ج، دار الوعي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

12- بليل (رحمونة)، **العلاقات التجارية لإيالة الجزائرمع بعض موانئ البحرالمتوسط، مرسيليا وليفورن من 1700 إلى 1827م**، رسالة ماجيستر، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الانسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2001-2002.

13- تابليت (علي)، **معاهدات الجزائر مع بلدان أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية (1619-1830)**، 2ج، منشورات ثالة، الجزائر، 2014.

14- تجاجنة (بوحفص)، **الحملات العسكرية لدول غرب أوروبا المتوسطية على الجزائر (1145هـ-1732م/1246هـ-1830م)**، رسالة ماجيستر في التاريخ الحديث، إشراف مختار حساني، قسم التاريخ، معهد العلوم الانسانية والاجتماعية، المركز الجامعي بغرداية، 2010-2011.

15- ثابت (جميلة)، **دور الأعلاج في العلاقات بين الجزائر ودول جنوب غرب أوروبا خلال القرنين 10-11هـ/16-17م**، رسالة ماجيستر في التاريخ الحديث، إشراف عمار بن خروف، قسم التاريخ، معهد العلوم الانسانية والاجتماعية، المركز الجامعي بغرداية، 2010-2011.

16- جودي (إسماعيل)، **الصناعة العسكرية في الجزائر في العهد العثماني (1518-1830)**، رسالة ماجيستر في التاريخ الحديث، إشراف مختار حساني، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2008-2009.

17- دباب (بومدين)، **الأسرى والسجون في مدينة الجزائر العثمانية (1519-1830م)**، رسالة ماجيستر في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف حنيفي هلايلي، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2007-2008.

18- سبنسر (وليم)، **الجزائر في عهد "رياس البحر"**، تعريب وتقديم: عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006.

2019- سعيدوني (ناصرالدين)، **النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792-1830)**، ط2، م.و.ك، الجزائر، 1985.

20- سعيود (إبراهيم)، **الأسرى المغاربة في "ايطاليا" خلال العهد العثماني**، أطروحة دكتوراه، إشراف عائشة غطاس، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، 2009-2010.

21- صحراوي (عبد القادر)، جميلة (عائشة)، **" التمثيل الدبلوماسي في الجزائر خلال العهد العثماني في ضوء الفرمانات العثمانية"**، *مجلة الحوار المتوسطي*، منشورات مخبر البحوث والدراسات الإستشراقية، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس، العددين (15-16)، مارس 2017.

22- عبد القادر (نورالدين)، **صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى إنتهاء العهد التركي**، دار الحضارة، الجزائر، 2006.

23- عبد القادر (الجزائري محمد)، **تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر**، شرح وتعليق: ممدوح حقي، دار اليقظة العربية، بيروت، 1964.

24- القدوري (عبد المجيد)، **سفراء عرب في أوروبا (1610-1922م) "الوعي بالتفاوت"**، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبوظبي، 2006.

25- عطلي (محمد الأمين)، **نشاط البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر و أثره في العلاقات الجزائرية الفرنسية**، رسالة ماجيستر، إشراف عمار بن خروف، قسم التاريخ، معهد العلوم الانسانية والاجتماعية، المركز الجامعي غرداية، 2011-2012.

26- غطاس (عائشة)، **العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر(1619-1694م)**، رسالة ماجيستر، إشراف مولاي بالحميسي، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1984-1985.

27- فكاير (عبد القادر)، **" علاقات الجزائر مع هولندا خلال الفترة العثمانية "** ، *مجلة "المواقف" للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ"* ، منشورات المركز الجامعي مصطفى اسطنبولي، معسكر، العدد 1، ديسمبر-جانفي 2007.

28- ===[103]، **الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية و آثاره (910-1206هـ/1505-1792م)، "دراسة تتناول الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية على الجزائر"**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.

29- قاسم (أحمد)، **إيالة تونس العثمانية على ضوء فتاوى ابن عظوم (1574-1600م)**، تقديم: عبد الجليل التميمي، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 2004.

30- قرباش (بلقاسم)، **العلاقات الجزائرية الإنجليزية الأولى من منظور إنجليزي (1550-1620)**، ضمن بحوث ودراسات تاريخية، أعمال مهداة للأستاذ لعميد عبد العزيز، إعداد وتنسيق: قاصري محمد السعيد، ط1، مطبعة نواصري (المسيلة)، الجزائر، 2017.

31- ===، **الأسرى الأوربيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830)**، أطروحة دكتوراه، إشراف بوغفالة ودان، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، 2015-2016.

32- قنان (جمال)، **معاهدات الجزائر مع فرنسا (1619-1830م)**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.

33- ===، **قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**، م.و.ن.ت، 1994.

34- ===، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1500-1830)**، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 2007.

35- كولز (بول)، **العثمانيون في أوربا**، تر: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1993.

36- المكناسي (محمد بن عبد الوهاب بن عثمان)، **إحراز المعلى والرقيب في الحج إلى بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب، "رحلة المكناسي"**، تحقيق وتقديم: محمد بوكبوط، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبوظبي، 2003.

37- خوجة (مصطفى بن حسن)، **التبر المسبوك في جهاد غزاة الجزائر والملوك**، رقم 1640.

38- هلايلي (حنيفي)، **" القرصنة وشروط افتداء الأسرى الإسبان بالجزائر العثمانية "** ، *مجلة الآداب والعلوم الانسانية* ، جامعة سيدي بلعباس، العدد 4، أفريل 2005.

39-===، **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.

40- وولف (ب.جون)، **الجزائر وأوروبا (1500-1830)**، ترجمة وتعليق: أبو القاسم سعد الله، دار رائد، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

ب-/ المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

41- Amine (Mohamed), **Le Commerce extérieur d'Alger à la veille de 1830, essai d'histoire économique et sociale**, édition Barzakh, Alger, 2016.

42- Black (Jeremy) ,**European Warfare (1494-1660)**, Routledge, New York, 2002.

43- Braudel (F)**, La Méditerranée et le monde Méditerranéen à l'époque de Philip II**, T2, 9eme édition, édition Armond Colin, Paris, 1990.

44- Dan (R.P.P), **Histoire de la barbarie et de ses corsaires**, Récollet imp, Du Roy, 2éme édition, Paris, 1637.

45- De Grammont (H.D), **Histoire d'Alger sous la domination Turque (1515-1830),** Ernest Leroux-éditeur, Paris, 1887.

46- De Groot (Alexender),**" Ottoman North Africa and the Duth Republic in the seventeenth and eighteenth centuries "**, *R.O.M.M*, N°39, 1985.

47- Davis (Robert.C), **Esclaves Chrétiens, Maitres Musulmans. L'esclavage blanc en Méditerranée 1500-1800**, Edition: Jacqueline Chambon, Paris, 2006.

48- McNeill (William.H), Senior Editor; Jerry H.Bentle, David Christian…, **Encyclopedia of World History**, Vol 2, Berkshire Publishing Group LLC, United States of America, 2005.

49- Hakluyt (Richard), **The principal navigations, Voyages, Traffiques and discoveries of English Nation, made by sea or over-land…exc**, 2nd, George Bishop, Ralph Newbery, Robert Barker, London, 1599.

50- Hattendorf (John B), **Naval Policy and Strategy in The Mediterranean, (Past, Present and Future)**, Frank Cass, London, 2000.

51- Stanlay (Lane-Poole), **The story of the Barbary corsairs, New York**: G.P Putnam's Sons, 1890.

52- Mamain (R), **Le Matériel de la marine de guerre sous Louis XIV, Rochefort, Arsenal modèle de Colbert (1666-1690)**, Hachette, Paris, 1936.

53- Masson (Paul), **Histoire de Commerce Française dans le Levant au XVIIe siècle**, Libraire Hachatte, Paris, 1911.

54- Panzac (Daniel)**, Les Corsairs Barbaresques la fin d'une Epopée**, édition (C.N.R.S), Paris, 1999.

55- Sacerdoti (Albert), **" L'esclavage Chrétien en Barbarie au XVIIIe siècle ",** *R.A*, Vol 93, 1949.

56- Savary (Bréves. F), **Relation des voyages de Monsieur De Bréves** , Chez Nicolas Gasse, Paris, 1628.

57- Van Kreiken (Gérard), **Corsaires et Marchands, les relations entre Alger et les Pays-Bas (1604-1830)**, Edition Bouchene, Paris, 2002.